جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

تراث البصرة

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث البصري

تصدر عن :
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة
السنة الثانية . المجلد الثاني . العدد الثالث
رجب ١٤٣٩ هـ - آذار ٢٠١٨ م

كتابُ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام إلى أشراف البصرة
دراسةٌ دلاليّةٌ في البِنيةِ والتَّركيبِ

The Letter of Imam Hussein (a.s.) to the Nobles of Basrah:
a Semantic Study of its Structure and Phrasing

أ.د. سالم يعقوب يوسف السّلميّ

جامعــة البصرة/ كلّيّة التّربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللّغة العربيّة

Professor.Dr. Salim Yacoob Yousif Al-Salemi

College of Eucation for Human Sciences

University of Basrah

ملخَّصُ البحث

عمد البحثُ إلى دراسة نصٍّ كلام الإمام الحسين عليه السلام الموجَّه إلى عددٍ من أشراف البصرة، ورؤساء العشائر فيها، يستنهضهم في اللّحوق به، ويدعوهم إلى نصرته، وهو نصٌّ تتجلّى فيه الصِّياغة الفنِّيّة، والصّور البلاغيّة، ما حَمَلَنا على تحليل خطابه، وإبراز الجانب الجماليّ في البنية والتّركيب، والميزات النّصّيّة فيه؛ لاستنهاض الهِمم، وبثِّ روح العزيمة بين أبناء الأمّة، والتّنبيه على الأخطار المحدقة بالدِّين الغضِّ الفتيّ، وبيان الحالة التي يعيشُها المجتمع الإسلاميّ -آنذاك-، لتكون رسالته خالدة على مرّ العصور، ما جعل خطابه الشّريف مؤثِّراً في نفوس أولئك الذين كتب عليه السلام إليهم، فكانَ منهم مَن عَزَم على اللّحوق به، والاستعداد لنصرته، كما في جواب (يزيد بن مسعود النّهشليّ)؛ إذْ لبّى دعوته.

اشتمل خطابه عليه السلام على مضامين إبلاغيّة موصِلة إلى نصٍّ كلاميٍّ تنطوي وراءه مثيرات فنّيّة من التّعبير، أردنا من خلال ذلك أنْ نقف على هذا النّصِّ الشّريف، (كتاب الإمام الحسين عليه السلام)؛ لنستجليَ مراميه، وما احتواه من بيانٍ وتعبيرٍ بليغٍ مؤثِّرٍ.

Abstract

The current research focuses on the text of Imam Hussein's letter addressed to a number of Basra nobles and chieftains, urging them to follow and support him. It is a text in which the fine phrasing and rhetorical devices invite deep analysis to uncover the aesthetic value of the structure and phrasing as well as other textual qualities. The letter was intended to inspire zeal and persistence in the nation and warn the people against the imminent dangers which surrounded the new religion. It also revealed the status of the Islamic community at that time, but also conveyed an eternal message that applies to all times. Imam Hussein's noble letter went deep into the hearts of the people to whom it was addressed, therefore, some decided to follow him and made preparations to support his cause. As such, Yazid bin Masood Al-Nahshily pledged his allegiance to Imam Hussein (a.s.).

The letter also includes informative messages incorporated in the text, displaying an expressive and persuasive power. The rhetorical and expressive aspects of the text encouraged us to analyze it deeply and expose its grandeur and purposes.

مقدّمة

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي نهضةٌ إصلاحيّةٌ شاملةٌ ضدّ الظّلم والفساد الذي سببّه الحكم الأمويّ، من الاستخفاف بمبادئ الدّين الحنيف وشرائعه، وقيمه، ومُثُلِه العليا، متمثّلاً ذلك بسلطة الحاكم الجائر، والجاهل المتّبع أهواءه ونزواته، وهذا ما كان حاصلاً بشهادة الأمّة، ولمّا شعرتْ بذلك، كتب الأشراف والوجهاء إلى الإمام الحسين عليه السلام- الذي أنكر بيعة يزيد بن معاوية ورفضها- يدعونه إلى قيادة الأمّة وزعامتها، وهذا هو الحلّ المناسب؛ إذْ وجدوا فيه مؤهِّلات القيادة والزّعامة، وأنّه الوريث الشّرعيّ لخلافة جَدِّه صلى الله عليه وآله، وأبيه عليه السلام، فلبّى النّداء، وعزم على الخروج لاستئصال الفساد الذي دبَّ في جسد هذه الأمّة وهدَّ أركانها، فنهض لينشر الإصلاح والعدل فيها، وكانتْ النفوس مهيّأة لاستقباله والسَّير في ركابه؛ لولا اتّباع الحاكم وسلطة التّرهيب والتّرغيب، وضعف بعض النّفوس، ما غيّرَ الموازين وقَلَبَها ضدّ مسيرته ونهضته المباركة.

وحينما اجتمعتْ الأمّة عليه، خرج وعياله من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله إلى العراق، وفي هذا الوقت، كتب إلى الأمصار، ومنها: (الكوفة، والبصرة)، ومن ذلك كتابه إلى الأشراف والوجهاء من أهل البصرة، يطلب منهم نصرته واللّحوق به، فقدْ ذكرتْ كتب التّاريخ أنّه كتب كتاباً واحداً إليهم، وُزِّعتْ نسخٌ منه إلى

عددٍ منَ الأشراف، وهم: مالك بن مسمع البكريّ، والأحنف بن قيس، والمنذر ابن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر[1]، وهناك مَن أضاف إلى مَن كَتَبَ إليهم: (يزيد بن مسعود، النّهشليّ)[2]. ويزيد النّهشليّ شخصيّة مهمّة في البحث؛ لأنّه قدْ أجاب كتاب الإمام عليه السلام، واستعدّ للّحوق به، ملبِّياً دعوته بعدما جمع قومه وأقواماً أُخَر من البصرة، فخطبهم وأبلغهم كتاب الحسين عليه السلام، فأثّر في نفوسهم، مستجيبين دعوتَه، إلّا أنّ استشهاد الإمام عليه السلام قبل اللّحوق به قدْ حال بين ذلك .

عمد البحث إلى دراسة نصّ كلامه الشّريف الموجّه إلى هؤلاء، وتحليل خطابه، والكشف عن جماليّات البنية والتّركيب فيه، والوقوف على المثيرات النَّصِّيّة فيه؛ لاستنهاض الهِمم والتّنبّه إلى الأخطار المحدقة بالدِّين الغضِّ الفتيّ، وبيان الحالة التي يعيشها المجتمع الإسلاميّ -آنذاك-.

لقدْ اشتمل كلامه وخطابه على مضامين تحمل مثيراتٍ فنّيّةً في نفس المتلقّي، منْ سبكٍ في العبارة، وترابطٍ وتناسبٍ وتناسقٍ بين أجزائه، وتعالقٍ بين أجزاء جمله، مَا جعله نصّاً إبلاغيّاً مشتملاً على أفعالٍ كلاميّةٍ إنجازيّةٍ، تُفصح عن بلاغته وفصاحته وبيانه الرّصين المؤثِّر، أردنا من خلال ذلك أنْ نقف على نصٍّ مفعمٍ ومكتنزٍ بالمعاني، وأسرارٍ من البيان والتّعبير، ونسبر غوره لنُخرج ما نستطيع أنْ نخرجه من مكنون أسراره، ولا غرو أنْ يصدر هذا البيان وهذا البلاغ بهذه الرّصانة، وهذه الدّرجة العالية من الخطاب ؛ لأنّه صادر من عربيٍّ قرشيٍّ متأصِّلٍ في العروبة، وهم قومٌ عرفوا بالبيان والفصاحة.

إنّ هذا النّصّ المتمثِّل بالكتاب الذي أرسله الإمام عليه السلام، يحمل معاني ودلالات

دقيقة، وآراء سديدة، ومضامين عميقة، فهِمها المتلقّون لها من أولئك الأشراف، فأثّرتْ فيهم، فقام عددٌ منهم بتداول الأمر والنّظر فيه، فجلسوا في بيت (مارية العبديّة)، يتبادلون المشورة والعزم على اللّحوق به ﷺ، ويظهر هذا من مبادرة الرّجل الجليل (يزيد بن مسعود، النّهشليّ).

لقدْ جاء كتاب الإمام ﷺ موجزاً مختصراً، ولكنّه محمّل بالمعاني الدّالّة المعبرّة والمؤثّرة، وهو موجّه إلى أكبر حاضرةٍ، وأعظم مصرٍ من أمصار الأمّة الإسلاميّة، وهي (البصرة)، التي قُسِّمتْ مناطقها إلى أخماس.

إنّ المنهج المتّبع في دراسة هذا النّصّ الشّريف هو الدِّراسة السّيميائيّة لإظهار القيمة الدّلاليّة في بنيته التّركيبيّة، والوسائل الإقناعيّة الكامنة في النَّصّ، والعلائق التي تربط أجزاء الكلام فيه.

الدِّراسة الدّلاليّة للنَّصِّ

نقل الطبريُّ عن أبي مخنف أنّ الإمامَ الحُسين ﷺ كَتَبَ كتاباً مع مولىً له يُقال له: سُليمان، إلى رؤساء الأخماس بالبصرة، وإلى الأشراف، فوصلتْهم نسخةٌ واحدةٌ، وهو قولُه صلواتُ الله عليه: « أمّا بعدُ، فإنّ اللهَ اصطفى محمّداً ﷺ على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثمّ قبضه إليه، وقدْ نَصَحَ لعباده، وبلّغ ما أرسله به ﷺ، وكنّا أهله وأولياءَهُ وأوصياءَهُ وورثتَه وأحقَّ النّاس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقُّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه، وقدْ أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحقّ، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم، وقدْ بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله

وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فإنَّ السُّنّة قدْ أُميتتْ، وإنَّ البِدعة قدْ أُحييتْ، وإنْ تسمعوا قولي وتطيعوا أمري، أهدكُم سبيلَ الرَّشاد، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٣].

ابتدأ خطابه (صلواتُ الله عليه) بأمرٍ عظيمٍ يهمّ كلَّ إنسانٍ مسلمٍ، وهو اختيار النّبيّ المرسَل صلى الله عليه وآله واصطفائه، فوضّح مهمّته مضمِّناً كلامه تشريفه وتكريمه وإعلاء منزلته، ومقامه الرّفيع الذي لا يُنكره عدوٌّ ولا صديقٌ، وهو لم يقل إلّا الحقّ والصّدق في هذا، وجاء كلامه مؤكَّداً بوساطة الحرف المشبّه بالفعل، وكذلك توالي التّابع المتمثِّل بالعطف، وتكرارها بوساطة حرف المشاركة والجمع، وهو حرف (الواو)، وقدْ تضمَّن الفعل الماضي في هذه المقيّدات أوصافاً ونعوتاً اشتقّتْ منها، وهي: المصطفى، والكريم، والمختار، وقدْ وُظّفتْ هذه الأوصاف العظيمة والحميدة في خطاب الإمام عليه السلام الدّالّة على علوِّه وسموِّه ومقامه ومنزلته عند الله سبحانه، فنقول في كلامنا عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: المصطفى والمختار، وقدْ أشار القرآن الكريم إلى وصف (المصطفى) تضميناً، وليس تصريحاً باللّفظ المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾(فاطر: ٣٢)، وأُسند هذا الاصطفاء والاجتباء والاختيار إلى الله سبحانه؛ تشريفاً وتعظيماً لأولئك المصطفين، واختُلف في مَن يكون هؤلاء المصطفون، فقيل: إنّهم الأنبياء، ونبيُّنا الخاتم صلى الله عليه وآله أفضلُهُم[٤].

لقدْ بدأ كلامه عليه السلام بفعل الاصطفاء؛ لأنّه يدلّ على الانتقاء والاختيار، قال ابن فارس: وهو «الخلوصُ من كلِّ شوبٍ... ومحمّد[صلى الله عليه وآله] صفوة الله تعالى وخيرته مِن خلقه ومصفّاه صلى الله عليه وآله»[٥]، وفرَّق الطّباطبائيّ بين اللَّفظين (الاصطفاء والاختيار)، قال: «والفرق أنّ الاختيار أخذ الشّيء من بين الأشياء، بما أنّه

خيرها، والاصطفاء أخذه مِن بينها بما أنّه صفوتُها وخالصها»[٦].

يظهر مِن هذا التّفريق أنّ الاصطفاء أخصّ وأدقّ من الاختيار؛ لأنّه انتقاء من الصّفوة؛ لذا جاء كلام الإمامﷺ مبتدئاً به، ومقدّماً إيّاه على الفعلين التّاليين دقيقاً، ويبيّن هذا قول ابن عاشور: إنّ « الاختيار تمييز المرغوب مِن بين ما هو مخلوطٌ من مرغوبٍ وضدِّه»[٧]، مِن هذا يظهر أنّه أقلّ درجةً من الاصطفاء، أمّا التّكريم الذي جاء بعد الاصطفاء، وخصّه بالنّبوّة في قوله: «وأكرمه بنبوّته»، نجد ترتيباً واتّساقاً للعبارات التي ساقها الإمام ﷺ؛ إذ قدّم إكرامه بالنّبوّة على اختياره للرّسالة. يظهر من الفروق التي ذكرها اللّغويّون أنّ النّبوّة مقدّمة على الرّسالة، ذكر أبو هلال العسكريّ: «أنّ النّبيّ لا يكون إلّا صاحب معجزة، وقدْ يكون الرّسول رسولاً لغير الله تعالى، فلا يكون صاحب معجزة، والنّبوّة يغلب عليها الإضافة إلى النّبيّ، فيُقال: نبوّة النّبيِّ؛ لأنّه يستحقّ منها الصّفة التي هي على طريقة الفاعل، والرِّسالة تُضاف إلى الله؛ لأنّه المرسِل بها، ولهذا قال (برسالاتي) (الأعراف: ١٤٤)، ولم يقل بنبوّتي، والرّسالة جملة من البيان، يحملها القائم بها ليؤدِّيها إلى غيره، والنّبوّة تكليف لقيام الرّسالة، فيجوز إبلاغ الرِّسالات، ولا يجوز إبلاغ النّبوّات»[٨].

وتولَّدتْ قوّةٌ في معنى عباراتهﷺ: (وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته)، منْ خلال نسبة النّبوّة والرّسالة، وإضافتها إلى الذّات المقدّسة في الضّمير العائد عليه سبحانه؛ تعظيماً له ورفعاً لمقامه الشّريف، وظهرتْ الدّقّة في استعماله حروف الجرّ في قولهﷺ: «بنبوّته ولرسالته، فالباء زادتْ في قوّة المعنى لدلالته على الإلزاق مِن شرف النّبوّة وتكريمها إيّاه، وكذلك اللّام في قوله: (لرسالته)، فهي

المكان المناسب مع فعل الاختيار في أمور الخير، فقدْ فرّق أبو هلال بين اللّام والباء في الفعلين المتشابهين (اختار وآثر)، فجعل الباء مع الفعل (آثر)، ولا يجوز أنْ تأتي مع الفعل اختار، بل المناسب مجيء اللّام للفعل (اختار)، قال: «يُقال: آثرتُكَ بهذا الثّوب وهذا الدِّينار، ولا يُقال: اخترتُكَ به، وإنّما يُقال: اخترتُكَ لهذا الأمر»[٩]؛ لذا جاء قول الإمام عليه السلام: (واختاره لرسالته)، في محلّه الذي وضع له.

إنّ استعمال عليه السلام لهذه الأفعال: (الاصطفاء، والتّكريم، والاختيار)، وإنْ كانتْ متقاربة بمعانيها، فإنّ فيها معاني إضافيّة، وفروقاً لغويّةً دقيقةً، يكشف عن كلٍّ منها تركيب الكلام، وقدْ تداخلتْ هذه الألفاظ في معانيها، فاستُعمل أحدها مكان الآخر[١٠].

تضمّن ابتداء كلامه عليه السلام لهذا الاصطفاء شخصَ النّبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله باسمه الصّريح، كما في قوله: «إنّ اللهَ اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله»، ولهذا التّصريح بالاسم الكريم أثرٌ بالغٌ في النّفوس؛ لما يشعّ به من إيحاءاتٍ ودلالاتٍ، وما يحمله من صفاتٍ ومعانٍ للدِّين والدّنيا، وفي هذا الاستعمال حضور لصفات هذه الشّخصيّة العظيمة، وهو وسيلة من وسائل الإقناع والإبلاغ في نفس المتلقّي، وهذا ما تؤيّده الدّراسات الحجاجيّة، منها: «أنّ اسم العَلَم إذ يُحيل على شخصٍ ما في مقامٍ ما، أو مقالٍ ما، يُصبح له محتوىً وصفيٌّ... هو مجمل صفات ذلك الشّخص الذي يُحيل عليه الاسم؛ لذلك ذهب (روسل)... في نقده لـ(ميل) في مسألة اسم العَلَم إلى أنّه على الحقيقة وصف لصاحبه، لكنّه وصف غير معلَن... فاسم العَلَم حسب (روسل) يُمكن أنْ يُحلَّل على أساس الصِّفات التي لصاحبه»[١١].

أراد الإمام عليه السلام من مقدّمته التي ابتدأ كتابه المرسَل بها إبلاغ المخاطبين برسالة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وتنزيهه والثّناء عليه، وهي دعوة منه إلى التّمسّك بالدِّين الحنيف والدِّفاع عنه، وهذا منهجٌ سار عليه الأئمّة المعصومون عليهم السلام يفتتحون خطبهم وكتبهم بذكر النّبيِّ صلى الله عليه وآله، أو ذكرهم التّوحيد والعقيدة الحقّة، ويدعون للإسلام الحنيف، كما نجد ذلك عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كثيرٍ من خطبه، قال عليه السلام: «**معاشرَ المسلمينَ، استشعروا الخشية، وتجلببوا السّكينة، وعضّوا على النّواجذ، واعلموا أنّكم بعينِ الله، ومعَ ابنِ عمِّ رسولِ الله**»(١٢)، وقوله عليه السلام: «**الحمدُ لله الذي علا بحولِهِ، ودنا بطَوْلِه ... أحمده على عواطفِ كرمِه، وسوابغِ نعمِهِ ... وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عُذْرِه، وتقديمِ نذره...**»(١٣).

وأمّا أدعية الإمام السّجّاد عليه السلام، ففيها الكثير من ذكره والثّناء عليه صلى الله عليه وآله، لا يكاد يخلو دعاءٌ من ذلك، قال عليه السلام: «**اللَّهُمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِهِ ما اختلفَ اللَّيلُ والنّهارُ، صلاةً لا ينقطعُ مددُها، ولا يُحصى عددُها...**»(١٤)، وكذلك في دعائه الثاني: «**والحمدُ لله الَّذي مَنَّ علينا بمحمّدٍ نبيِّه صلى الله عليه وآله دون الأمم الماضية، والقرون السّالفة، بقدرته التي لا تعجزُ عن شيءٍ وإنْ عَظُم**»(١٥)، وكذلك دعاؤه: «**اللَّهُمّ فصلِّ على محمّدٍ أمينكَ على وحيكَ، ونجيّكَ منْ خلقكَ، وصفيِّكَ منْ عبادِكَ**»(١٦).

إنّ هذا الافتتاح بذكر النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، الذي ورد في خطاب الإمام عليه السلام استنهاضٌ للهمم، وإيقاظٌ للضّمائر، وتحريكٌ للوجدان الإنسانيّ؛ لأنّ ذكره الشّريف يحمل رموزاً جمّةً تنطوي تحتها معانٍ عديدةٌ.

إنّه يحمل إشاراتٍ تربط قضيّته ومهمّته برسولِ الله صلى الله عليه وآله ودعوته الحقّة؛ إذ إنّه

أرادَ مِن المتلقّي أنْ يلتفتَ إلى قضيّةٍ مهمّةٍ وخطيرةٍ، وهي الكيان الإسلاميّ، والذَّود عنه، كما ذاد عنه الرَّسولُ الأعظمُ وصحابته المجاهدون، الذين بذلوا أنفسهم من أجله، حتّى ارتفعتْ كلمة (لا إله إلّا الله)، فافتتاحه بهذه المقدّمة تهدف إلى أغراضٍ توصيليّةٍ لدى المتلقّي، وتُفضي إلى مستلزماتٍ مؤثِّرةٍ في النّفوس.

ومن خلال هذا الافتتاح المتمثّل بالاصطفاء والاختيار للنّبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، يُشير الإمامُ عليه السلام إلى فكرة اصطفائه هو (صلوات الله عليه) -أيضاً-؛ لأنّ النّبيَّ وأهل بيته اصطفاء واختيار واحد؛ لأنّهم يُمثِّلون نفس النّبيِّ صلى الله عليه وآله، وذهب بعض العلماء إلى أنّهم مصطفَون لاصطفائه صلى الله عليه وآله، مفسِّراً ذلك لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(آل عمران: ٣٣)، قال الطّوسيّ: «وفي قراءة أهل البيت – وآل محمّد: على العالمين»، وقال -أيضاً-: آل إبراهيم هم آل محمّدٍ الذين هم أهله، والآية تدلّ على أنّ الذين اصطفاهم معصومون منزَّهون؛ لأنّه لا يختار ولا يصطفي إلّا مَن كان كذلك[١٧]، وأشار الرَّازيّ إلى شمول النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في الاصطفاء من آل إبراهيم[١٨].

لقدْ أخذ كتابُ الإمامِ ما يقرب مِن نصف كلامه الشّريف بالحديثِ عن النّبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله ودعوته ورسالته الخالدة، مبتدئاً ببعثته حتّى انتقاله إلى الرّفيق الأعلى عند سدرة المنتهى، مستعرضاً مهمَّتَه في أمر الرّسالة والدّعوة في قوله: «نَصَحَ لعباده، وبَلَّغَ ما أرسله به»، وهاتان الجملتان نتيجة راجعة إلى ما تقدَّم عليها من القول المتمثِّل بالاصطفاء والتّكريم والاختيار لهذه الرّسالة، فعَدّ ذلك واجباً مكلَّفاً به، وكلامه (صلوات الله عليه) في نصحه وتبليغه صلى الله عليه وآله فيه إشارةٌ إلى نُصح

الأمّة وإبلاغها في أهل بيته وخاصّته، أنّهم أُولو الأمر الذين يُتَّبعونَ، ولعلَّ كلامه في أمر التّبليغ ارتبط بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة: ٦٧)، ذكر الرّازيُّ في سبب نزولها أقوالاً، منها: أنّها نزلتْ في «فضل عليٍّ بن أبي طالبٍ ﷺ، ولمّا نزلتْ هذه الآية، أخذ بيده، وقال:« **مَنْ كُنْتُ مولاهُ، فعليٌّ مولاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ**»، وقدْ أسنده إلى ابن عبّاسٍ، والبراء بن عازب، ومحمّد بن عليٍّ[١٩].

يظهر من الآية أنّ الأمر ليس بهيّنٍ ولا بسهلٍ، وهو ينفي مهمّته وإبلاغ رسالته العظيمة التي مِن أجلها بعثه في حال تلكُّئه عن إبلاغ أمرٍ لم يُصرِّح به، بل جعله من مكنوناتِ أسراره إلى نبيِّه ﷺ، إذن، لابدَّ منْ أنْ يكونَ الأمر أعظم من ذلك، ويُمكن أنْ نطمئنَّ إلى ربط كلام الإمامِ في النُّصح والتّبليغ عن النّبيِّ ﷺ من خلال كلامه اللّاحق، حين بيَّنَ مصرِّحاً أنّهم: «أهلُه وأولياؤه وأوصياؤه وورثتُه»، في قوله: «**وكنّا أهلَهُ وأولياءَه وأوصياءَه وورثتَه، وأحقَّ النّاس، واستأثَرَ علينا قومُنَا بذلك**».

من كلامه المتقدّم استعمل مثيراً أرجع القوم فيه إلى الزّمن الماضي، محذِّراً من الوقوع فيما حدث سابقاً، متمنِّياً ألّا يتكرّر ويعود، دلّ على ذلك بالفعل (استأثر)، ودلالة الزّمن في العبارات المتقدّمة، وإنْ كانتْ قدْ أشارتْ إلى أحداثٍ ماضيةٍ، فهي تحمل إشاراتٍ للزّمن الحاضر، وهو زمن المتكلِّم، وكذلك الزّمن المستقبل، وهو استعمال الفعل النّاقص (كان) في قوله ﷺ:«وكنّا أهلَهُ وأولياءَهُ...»؛ إذْ نلمح في الفعل استمراراً، وليس انقطاعاً وانقضاءً، فهم أهله

وأولياؤه وأوصياؤه وورثتُه وأحقُّ النّاس به في أوّل الخلق، وفي حاضرهم، وفي مستقبلهم ؛ لأنّهم خُلقوا من طينةٍ واحدةٍ.

تحصل دلالة الفعل على الزّمن من خلال بناء الجملة وما يحيط بها من عناصر وقرائن يمدّها السّياق وتركيب الكلام، أمّا صيغه الصّرفيّة، فلا تُفصِح عن ذلك(٢٠).

وقدْ جعل بعض الدّارسين الاستمرار واقعاً في (كان) في آياتٍ من التّنزيل العزيز، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾(النّساء: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾(الأنبياء: ٨١)، فقدْ أفادتْ معنى: (لم نزل)(٢١).

تتّسم لغة الإمام عليه السلام وهو يتحدّث عن أمورٍ مؤلمةٍ للنّفس؛ لما فيها من تعدٍّ على حرمة أهل البيت عليهم السلام، بالهدوء والتّوازن والانسجام، من دون تصعيدٍ للعنف، إلّا أنها على هدوئها وتلطّفها، فإنّها تحمل في داخلها تعنيفاً وتقريعاً وعتباً ولوماً، فلو نظرنا إلى قوله عليه السلام:«**فاستأثَرَ علينا قومُنا**»، نجدُ أنّه قدْ نسب القوم إليهم -وهم أهلُ الوحي-، فكم فيها من اللُّطف والأدب والورع؛ إذْ إنّه لم يأتِ بكلمة نابية وهو في موضع الحديث عن الحقّ والباطل، فلم يقل: (بغى علينا الطُّغاة)، مثلاً، بل إنّه عدل عن ذلك ليومئ إلى شيءٍ خفيٍّ، وهو أنّ أهل بيت الرّسالة والوحي أكبر مِنْ أنْ يُقابلوا بالمثل، بل هم مثال للصَّفح والتّسامح والصّلاح والسّداد، وهو يقتدي بتعبير القرآن الكريم، ففي كثيرٍ من الآيات، يأتي تعبير الأنبياء مع أقوامهم وهم يتعرّضونَ منهم إلى أشدّ العذاب بلفظ: (يا قوم)، نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف: ٦١)(٢٢)، وإلى مثل هذا أشار الدّكتور عبدالكاظم الياسريّ إلى أنّ في خطابه «إشارة إلى

حقٍّ مغتصبٍ، ويقصد به الإمام: بيعة الغدير، التي عقد فيها الرّسول الولاية بعده إلى الإمام عليٍّ بن أبي طالب، وأشار إلى أنّهم حين قبلوا ولاية غيرهم، فمِن أجل حقن دماء المسلمين وحفظ وحدتهم»[٢٣]، وعزا ذلك إلى سموِّهم وارتفاع شأنهم، ولكونهم مصلحين لهذه الحياة، وإرساء دعائم الدّين، وهم على علم بذلك، وغير خافٍ عنهم؛ إيثاراً لمصلحة الدّين، وحفاظاً على بيضة الإسلام وهو في طوره الأوّل، وينطلق الإمام في كلامه الشّريف بروحٍ ثابتةٍ متيقِّنةٍ مطمئنّةٍ، يُدرَك ذلك من خلال استعماله المؤكِّدات، ووسائل الكلام من الإحالات والإشارات في الضّمائر، وهي قوله: (نحن) (أنا)، وكذلك ألفاظ مكرَّرة مصرّح بها، وهو لفظة: (الحقّ)، في قوله: «**إنّا أحقُّ بذلكَ الحقِّ المستحقِّ علينا**» من خلال (أفعل التّفضيل) بينهم وبين غيرهم، كلّ إرادةً للحجّة على وجه السُّرعة والإيجاز، فالحقُّ المستحقُّ هو لهم، فعمد في كلامه إلى استعمال هذه الإحالات المتمثّلة بالضّمائر واسم الإشارة (ذلك)، والاسم الموصول (مَن) في قوله: «**ممّن تولّاه**»، المشار به إلى حقِّهم، وهذه من وسائل الإقناع في الخطاب، كما عدّ ذلك دارسو الحجاج في دراساتهم التّداوليّة، فهذه الإحالات «تستحضر المحال إليه إلى طرفَي الخطاب، ووظيفتها المقاصديّة تتّصل بالسِّياق المخصوص بها، لتوضيح غاية المتكلّم... وهي من ناحية الدّلالة مؤكِّدات؛ لأنّها مدعمة بالواقع المادّي الخارجيّ، وبالمؤكّد اللّفظيّ أيضاً، وهي تفيد التّأكيد والاختصار في اللّفظ؛ لإغنائها عن ذكر المشار إليه واستحضاره في اللّفظ»[٢٤]، وتُسهم الإحالة بالضّمير في اتّساق الخطاب؛ إذْ أشارتْ إحدى الدِّراسات إلى «أنّ الضّمائر -وخاصّة منها ضمائر الغيبة- تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر

متقدِّم في خطابٍ سابقٍ، أو استحضار مجموع خطابٍ سابقٍ في خطابٍ لاحقٍ»[٢٥].

وفي قوله عليه السلام: «**ممّنْ تولّاهُ**» أحال بالضّمير الغائب والاسم الموصول (مَنْ)؛ لأنّه أراد مِن كلامه أنْ يكون تعريضاً لفعل أولئك، متجاوزاً التّصريح بهم، مشيراً بذلك إلى شيءٍ غائبٍ؛ تقليلاً لأهمّيّته عنده عليه السلام؛ لذا عَمَد إلى المبهمات المتمثِّلة بهذه الإحالات، تاركاً الحكم للمتلقّي، لشدِّه، وليُعلي مِن قدره تعظيماً وتفخيماً له، حينما يُدرك أنّ هذا الصّفح والتّجاوز يرجع إلى كرم الشّيءِ.

ونلمح في نصِّه عليه السلام إظهارَ مظلوميّته بشكلٍ متوازنٍ وهادئٍ وحكيمٍ، إشارة إلى ما أُثِر عن العرب منْ أنّ الظلم مِن ذوي القربى أشدّ على النّفسِ من الأباعد؛ ولذا قال عليه السلام: «**فاستأثَرَ علينا قومُنا**»، ففي قوله هذا إشارة إلى القرابة من أولئك، وقدْ مثَّل الشّاعرُ الحكيم هذا القول:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على المرءِ منْ وقْعِ الحُسَامِ المُهنّدِ[٢٦]

إنّ ما تقدّم من كتاب الإمام عليه السلام كان تمهيداً لما جاء من مهمّة الكتاب الذي بَعَثَ عليه السلام رسوله من أجلها، وقدْ جاءتْ كلمة (الرّسول) مضافة إلى نفسه الشّريفة من قوله: «**رسولي**»؛ زيادة في ثقته، وتوكيداً على إكرامه، والاستجابة إليه، وكان الإمام عليه السلام شديد الاهتمام بهذا الأمر؛ لخطورته؛ لأنّه يرتبط بأمر الأمّة، يظهر ذلك في جزالة المعنى وقوّة الكلام؛ إذْ كانتْ ألفاظه دالّة على ذلك، كما في قوله عليه السلام: «**وَقدْ بَعَثْتُ رَسُوْلي**»، فقدْ عمد إلى استعمال الفعل (بعث)، وهو فعلٌ يأتي متعدِّياً بنفسه، ويأتي متعدِّياً بوساطة حرف الجرّ (الباء)، وفي النّصِّ الشّريف جاء متعدِّياً بنفسه، وفيه دلالاتٌ، منها: دلالته على الاستعداد والاهتمام

والسّرعة، قال الفارابيُّ: «وبعثه مِن منامه، أي: أَهَبَهُ، وبعث به، أي: وجّه به»[٢٧]، أي: جعله على أُهبة الاستعداد، فقدْ توخّى الإمام ﷺ السُّرعة والحزم في الأمر، فاستعمله متعدِّياً بنفسه؛ لأنَّ هناك فرقاً بين هذا الاستعمال وبين استعماله متعدِّياً بوساطة حرف الجرّ (الباء)، ذكر مصطفوي هذا الفرق، وهو: «كلُّ شيءٍ ينبعثُ بنفسه، فإنّ الفعل يتعدّى إليه بنفسه، فيُقال: بعثتُه، وكلُّ شيءٍ لا ينبعثُ بنفسه، كالكتاب والهديّة، فإنّ الفعل يتعدَّى إليه بالباء، فيُقال: بعثتُ به»[٢٨].

يظهر هذا الاستعمال في مسألة تعدِّي الفعل (بعث)، الوارد في نصّ الإمام ﷺ، فإنّه لمّا كان الرّسول ممّن ينبعث بنفسه؛ لأنَّ له إرادة، فقدْ تعدّى الفعل هذا بنفسه، وهذا ما سار عليه القرآنُ الكريمُ، قال تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾(البقرة: ٢١٣)، وقوله تعالى: ﴿**مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾(يس: ٥٢). ويستعمل فعل البعث في بدو الشّيء وحدوثه وإيجاده ونشوئه، أي: في المواضع التي يُستحدث فيها ويُبدأ أوّلاً، وأمّا الإرسال أو التّوجيه، فيُستعمل في مرحَلةٍ لاحقةٍ بعد البدو والنّشوء، أمّا الإيصال، فيُستعمل لما هو آخر السّير[٢٩]. وكان استعمال الفعل (بعث) موفَّقاً؛ لما فيه مِن معنىً مناسبٍ في استعماله مع الرَّسول، أو النّبيّ، أو الملك، أو الحَكم، أو النّقيب؛ لأنّه يُفيد الإنهاض[٣٠]، وبيّنَ أنّ هذا الرّسول قدْ أُرسِلَ لأمرٍ مهمٍّ من خلال ما أشار ﷺ إلى الاسم الذي عرّفه بأل التّعريف (الكتاب)، في قوله: «**بهذا الكتاب**»، فقدْ تضمَّن هذا الكتاب قيمةً كبيرةً لما يحمله منْ أمرٍ خطيرٍ، فهو لم يقل: (بعثتُ رسولي إليكم بكتابٍ)، بصيغة النّكرة، فيُفهم أنّه كتابٌ كغيره من الكتب، ثمّ استأنف قوله بضمير المتكلِّم (أنا)، في قوله: «وأنا أدعوكم إلى كتابِ الله وسُنَّةِ نبيِّه»، جاء بضمير المتكلِّم (أنا) ليخصّ نفسه

الشّريفة بالقيام بهذا الأمر من دون غيره؛ لأنّه يرى أنّه هو الأولى بهذا الأمر، واستعمال ضمير المتكلّم (أنا)، محيل ومعين على التّواصل بين المتكلّم والمرسِل، ومن هنا أشارتْ بعض الدّراسات الحديثة إلى أنّ هذه الضّمائر والإحالات من المعينات، وهي: «وحدات للّفظ ومؤثّراته تُساهم في تحيين فعل التّلفّظ إنجازاً وقولاً وفعلاً، عن طريق الضّمائر وأسماء الإشارة...»[٣١]، فظهرتْ قوّة الإنجاز بالجملة الاستئنافيّة التي ابتدأتْ بالضّمير المنفصل، وهي جملةٌ اسميّةٌ فيها إخبار عمّا تضمّنه كتابُه المرسَل، متضمّنةً الصِّدقَ والوضوحَ؛ لما تحمله مِن معنى الثّبات والاستقرار. وينقل د. عبد القادر المهيريّ عن أحد علماء اللّغة المعاصرين (أميل بنفنيست) شيئاً يميّز به الجملة الاسميّة، والظّروف التي يحسن الاستعمال فيها، فيرى أنّها لا تُخصَّص بزمانٍ، ما « يؤهِّلها للتّعبير عن الحقائق العامّة والمبادئ القارّة، ويجعلها ملائمة للحِكَم والأمثال، ويفسِّر استعمالها للاحتجاج وتقديم الأدلّة، لا لسرد الأخبار واستعراض الأحداث»[٣٢]، وفي عبارته عليه السلام هذه، أخبر وكشف عن دعوته ونهضته وهدفه السّامي، وفي الإخبار قوّة في إنارة الحكم وإثباته، لترسيخ ذلك في نفس المتلقّي من الخبر[٣٣].

ويتلاءم هذا وما أراد أنْ يدعو إليه فيما بعده من الكلام، وهما شيئان عظيمان، ومِن أجلهما يبذل العظماء ما يملكونه في هذا الوجود، ألا وهما: كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وفيه بيان ووضوح إلى أنّهما تُعدِّيَ عليهما، ويعود كلامه عليه السلام على متقدِّمٍ، وهو ما يحمله كتابه الذي أُرسل إليهم يدعوهم فيه إلى التزام جادّة الصّواب، ويقدّم في دعوته هذه الدّليل والبرهان والسّبب والعلّة لإقدامه على هذا الأمر، فيردفُ عليه السلام كلامه بقوله: «**فإنّ السُّنّة قدْ أُميتتْ، وإنّ البدعةَ قدْ أُحييتْ**»، فإنَّ

هاتين العبارتين المختصرتين الوجيزتين قدْ اختصرتا الوضعَ القائم برُمَّته، والنّظام الذي تسير عليه الأمّة، وأحوال المسلمين، وما يُحدق بالدِّين الحنيف من مخاطر واستخفاف، ويدلّ هذا على بالغ حكمته ومراقبته للأمور بعين البصيرة؛ ولأنّه يرى أنّ استقامة الحياة وكرامة الإنسان مرهونة بالعمل بكتاب الله وسُنّة نبيّه الكريم ﷺ؛ لأنّ السُّنّة هي الكاشفة عن القرآن العظيم.

إنّ المحاسن والأسرار في قوله ﷺ هو ذلك الإيجاز البليغ الذي تنطوي وراءَه معانٍ عميقة، ودلالات مكثّفة تُثير نفس المتلقّي وتوقظه، ولاسيّما أنّ إماتة الدِّين تعني عنده ذهاب كلِّ شيءٍ في هذه الحياة، كرامته وعِرضه وحقوقه، فماذا ينتظر بعد هذا البلاغ.

إنّ هذا الخطاب والمعاني التي يحملها ليستْ ببعيدةٍ عن أبناء الأمّة والمتلقّين لخطابه الشّريف؛ لأنّ أمر الدِّينِ يهمُّ الجميع؛ لذا كان المتلقّي واعياً ومهيَّئاً لاستقبال ذلك الخطاب العظيم، فقدْ أثّر في نفوسهم، وفي هذا إنجاح لإبلاغ خطابه وبيانه واستقباله، وهذا ما تؤكِّده الدّراسات الحديثة، يقول أحد الباحثين عن دور المخاطَب (المتلقّي): إنّه « عندما يُوضع الخطاب بين يدي القارئ أو السّامع، فإنّه يتعامل معه بطريقته الخاصّة في الفهم، مستعيناً في ذلك بثقافته وتجاربه وأحواله الخاصّة التي ينفرد بها عن غيره، وإنْ كانتْ في معظمها مشتركة بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه لغويّاً، وهو ما يُعطي لفهمه صبغةً موضوعيّةً إلى حدٍّ ما»(٣٤).

لقدْ استعمل الإمام ﷺ ملمحاً جماليّاً مثيراً للنّفس من خلال رصف فنّيٍّ احتوى عليه كلامه في العبارات المتضادّة، ليُوقف متلقّي كلامه على حقيقةٍ مهمّةٍ تعني كلّ مسلم ذي مروءةٍ على دينه وكرامة حياته، كما جاء في كلامه الكريم: «**فإنّ السُّنّة قدْ**

أُميتتْ، وإنّ البدعةَ قدْ أُحييتْ»، فقدْ تمثّل التّقابل اللّفظيّ في العبارتين: (السُّنّة والبِدعة)، والفعلين: (أُميتتْ وأُحييتْ)، وهو أُسلوبٌ فنّيٌّ جماليٌّ يكشف عن المعنى، ويُوصل إليه السّامع، وقدْ تنبّه إليه أهل البلاغة والنّقد قديماً، والتّضادّ أو التّقابل هو: «آليّة فنّيّة وجماليّة تقوم بعمليّة ربط لفظيّ ومعنويّ بين أنساق أسلوب التّقابل، ثنائيّة كانتْ أم أكثر... إنّ مفهوم التّضادّ التّقابليّ يُمثِّلُ آليّة الحدس الفنّيّ الجماليّ الاستدلاليّ، التي تربط الجماليّة الفنّيّة بمُعادلها النّفسيّ والموضوعيّ»[٣٥]، فالمعادلُ النّفسيّ والموضوعيّ مهيَّأ عند المتلقّين في الأمر الذي دُعوا إليه، ما جعل التّعبير بالتّضادّ منجزاً فعليّاً مؤثّراً لديهم.

لقدْ ختم الإمام عليه السلام كتابه الشّريف بجملةٍ شرطيّةٍ كانتْ متضمِّنةً ما احتواه المتقدّم من كتابه، وملخّصةً لمفهومه، وهو قوله: «**وإنْ تسمعُوا قولي، وتُطيعوا أمري، أهدِكُم سبيلَ الرَّشاد**»، فهي خلاصة مشروعه الإصلاحيّ في الدّين والدّنيا.

إنّ هذا الأسلوب الشّرطيّ الذي ختم به عليه السلام كلامه الشّريف جاء متماسكاً متراصّاً مترابطاً، يكشف عن البيان في أعلى مراميه؛ لما في الشّرط من مزايا تتجلّى في هذا المجال، وهذا ما أكّده أحد دارسي التّعبير القرآنيّ؛ إذْ ذكر: «إنّ الأسلوب الشّرطيّ يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحظاً فيه ترتّب المسبَّب على السَّبب، فإذا ذُكرتْ أداة الشّرط، وأُردفت بفعل الشّرط، تشوَّقتْ النّفس إلى ما ذِكر ما سيكون، فإذا ذُكِر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التّشويق، تمكّن أيّما تمكّنٍ»[٣٦].

فنلحظ الدِّقّة في صياغة كلامه الشّريف؛ إذْ جاءتْ جملة الشّرط بالوصل (العطف) من الفعل المضارع المعطوف (تُطيعوا)، على الفعل المضارع المعطوف عليه (تسمعُوا)، وجمع هنا بين (السَّمع والطّاعة)، وجاء بالسَّمع مقدَّماً على الطّاعة؛

إذْ لم يقل ﷺ: (إنْ تُطيعُوا أمرِي، وتسمعُوا قولي)؛ لأنّ الطّاعة تاليةٌ للسّمع، ولأنّه هو الأساس في تلقّي الشّيء وإدراكه وفهمه، ثمّ الإقبال عليه طوعاً، ثمّ جاء جواب الشّرط، وهو قوله ﷺ: «**أَهْدِكُم سبيلَ الرَّشادِ**»، وهو غاية في الحكمة والسّداد، وأعلى مراتب التّهذيب والكمال؛ إذ لم يقل: أُغدق عليكم بالأموال والهبات والعطايا وغيرها من مغريات الحياة؛ بل إنّه (صلوات الله عليه) عمد إلى هذا الاختيار من القول، وهو جواب للشّرط الذي ذكره؛ لأنّ الرّشد والرّشاد مفهوم يحمل معاني شاملة واسعة محيطة بأطرافٍ من الحياة الدّنيا والآخرة، وهو أدخلُ في النّفس، وأجلى للبصيرة، فمَن هُدِيَ إلى الرُّشد، فقدْ اقترب من التّمام والكمال، وهذه السّعة في مدلول اللّفظة ومفهومها تجعل فكر المتلقّي يجول حول معاني هذا اللّفظ غير المحدَّدة في الجواب به عن كلِّ مذهبٍ، ولا يقف عند معنىً واحدٍ، وهذا فعلٌ إنجازيٌّ مؤثِّرٌ، ويُنبئ عن نظريّته ﷺ التي يحملها، وهدفه الذي يصبو إليه؛ ولأنّ هذا أثر من النّظرة القرآنيّة المتعالية؛ ولأنّ خُلُقَه القرآن، كما وُصِف النّبيّ الأعظم ﷺ: «كان خُلُقُه القرآن»، فهو ﷺ ينطق عن القرآن كما في قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾(غافر: ٣٨)، وقوله: ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (غافر: ٢٩).

إنّ أركان جملة الشّرط في خطابه ﷺ جاءتْ بالأفعال المضارعة، وهي: (تسمعُوا، تُطيعُوا، أهدكم)؛ إذْ يطلب منهم الاستمرار والمداومة على هذه الأفعال لينالوا الرّشد والفلاح، وقدْ أشار د. فاضل السّامرائيّ إلى ذلك فيما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وقدْ قارن بين الأفعال الواردة في هذه الآية بالفعل المضارع،

وبين الأفعال الماضية في سورة الإسراء من قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً**﴾(الإسراء: ١٩)، قال: «وذلك لأنّ إرادة الثّواب تتجدّد؛ لأنّ الثّواب يتجدّد، بخلاف الآخرة، فإنّها واحدةٌ، وهذا السِّرّ في أنّه قال: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ**﴾ بالفعل الماضي، لكنّه قال: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ**﴾ بالمضارع»[٣٦].

الخاتمةُ

إنّ السّمة البارزة فيما انطوى عليه خطابه الشّريف الموجَّه إليهم، مِن أوّلِ ما بدأ به وهو المقدّمة والمفتتح، إلى آخره ونهايته، كان يغلب عليه السِّمة الإيمانيّة، ومناصرة الحقّ والدّفاع عن الدّين الغضِّ الجديد، ومقارعة الأهواء والزَّيغ؛ لأنّه يُمثِّل معدن هذه المبادئ وأصالتها وجوهرها؛ وما يصدر عنه ﷺ، إنّما يصدر عن نفسٍ تفيض بما انطوتْ واحتوتْ عليه من مكنوناتٍ وأسرار أودعها الله في هذه النّفس الكريمة، وما تحمله من مُثُلٍ وثقافةٍ دينيّةٍ نقيّةٍ؛ إذْ كان الموقف الذي بثّ فيه الإمام دعوته وبلاغه يستدعي إثارة الوجدان والشّعور بالنّهوض والانتصار للدِّين الحنيف، وهو ما يعبَّر عنه بسياق الموقف عند الدّارسين، ويشمل «كلّ ما يقوله المشاركون في عمليّة الكلام، وما يسلكونه، كما يشكّل الخلفيّة بما تتضمّنه من سياقاتِ خبرات المشاركين، وقدْ أشار (فيرث) إلى أنّ كلَّ إنسانٍ يحمل معه ثقافته، وكثيراً من واقعه الاجتماعيّ حيثما حلّ»[٣٧].

إنَّ خطاب الإمام ﷺ حقَّق أهدافه، ووصل إلى مسامع المرسَل إليهم، وأثَّر في نفوسهم، فاستجابَ عددٌ كبيرٌ منهم، وهَمَّ آخرون بنصرته؛ لما وجدوا فيه من صدقٍ ومنفعةٍ كبيرةٍ هزّتْ أركان نظام الحكم الأمويّ، فاضطربتْ الأوضاع السّياسيّة على إثر ذلك، ونبّه الغافلين عمّا هم فيه من سباتٍ وغفلةٍ، فتحرَّكتْ على إثر ذلك كثيرٌ من الضّمائر، فسلامٌ عليه يوم وُلد، ويوم استُشهد، ويوم يُبعثُ حيّاً، وله الحمدُ في الآخرةِ والأُولى.

الهوامشُ

١- يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٥/ ٣٥٧، والكامل في التاريخ: ٣/ ١٣٥.
٢- يُنظر: أعيان الشّيعة: ٢/ ٤٠٤-٤٠٦.
٣- تاريخ الطبريّ: ٥/ ٣٥٧، ويُنظر: مكاتيب الأئمّة عليهم السلام: ص١٢٨-١٣٢.
٤- يُنظر: البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٢٩-٤٣٠، والميزان: ٢٢/ ٤٤-٤٧، ونعوت الرّسول محمّد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم - دراسة دلاليّة - مجيد بدر ناصر: ص١٠٥.
٥- مقاييس اللّغة: ٣/ ٢٩٢، (صفو)، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص٤٨٨ (مادّة صفو)، واللّسان: ١٤/ ٤٦٣ (مادّة صفو).
٦- الميزان: ١٧/ ٤٥.
٧- التّحرير والتّنوير: ٨/ ٣٠٥.
٨- الفروق اللّغويّة: ص٣٠٠.
٩- المصدر نفسه: ص١٤٣.
١٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣١٩.
١١- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة: ص١٧٥-١٧٦.
١٢- شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٣٦، خ٦٥.
١٣- المصدر نفسه: ٦/ ١٩١، خ٨٢.
١٤- الصّحيفة السّجّاديّة: ١/ ٤.
١٥- المصدر نفسه: ١/ ٢٢٤.
١٦- المصدر نفسه: ١/ ٢٢٥-٢٢٦.
١٧- البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤٤١.
١٨- يُنظر: التّفسير الكبير: ٣/ ٢٠٠-٢٠١، وتفسير البيضاويّ: ١/ ١٣، والبحر المحيط: ٢/ ٦٩٢.

١٩- التّفسير الكبير: ٤/ ٤٠١.
٢٠- يُنظر: مناهج الدّرس النّحويّ في العالم العربيّ في القرن العشرين: ص١٨٦.
٢١- يُنظر: معاني النّحو: ١/ ١٩٣.
٢٢- يُنظر: الآيات في السُّور: البقرة: ٥٤، الأنعام: ٧٨، الأعراف: ٦٥.
٢٣- تأمّلات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى وجوه البصرة: الصّفحة الرّئيسة، موقع مكتبة العتبة الحسينيّة: www.ImomHussain-lib.com
٢٤- تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: ص٢٣١.
٢٥- الخطاب القرآنيّ- دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق: ص٢٣٢.
٢٦- شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات: ص٢٠٩.
٢٧- ديوان الأدب (فَعَل يفعَل): ص٣٥٤.
٢٨- التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٣١٨-٣١٩.
٢٩- يُنظر: التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٣٢٠.
٣٠- المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم (بَعَث): ١/ ١٤٤.
٣١- التّداوليات وتحليل الخطاب: ص١٧.
٣٢- نظرات في التّراث اللّغويّ العربيّ: ص٤٣-٤٤.
٣٣- يُنظر: تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: ص١٧٤.
٣٤- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص١٥٥.
٣٥- التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآنيّ- دراسة جماليّة فكريّة وأسلوبيّة: ص١٥٦.
٣٦- خصائص التّعبير القرآنيّ وسماته البلاغيّة: ١/ ٢٠٨.
٣٧- معاني النّحو: ٤/ ٥٠-٥١.
٣٨- المعنى وظلال المعنى/ أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص١٢٠.

المصادرُ والمراجعُ

١- القرآنُ الكريمُ.

٢- أعيان الشّيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، النّاشر: دار التّعارف للمطبوعات.

٣- البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ(٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرّزّاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤- تاريخ الطبريّ، تاريخ الرّسل والملوك، لأبي جعفر، محمّد بن جرير، الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،مصر، ١٩٩٢م.

٥- تأمّلات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى وجوه البصرة، د. عبدالكاظم الياسريّ، موقع مكتبة العتبة الحسينيّة:/www.ImamHussain-lib.com/arbic/Pages/bohth056.php

٦- التّبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر، محمّد بن الحسن، الطوسيّ (٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب قيصر العامليّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١.

٧- التّحرير والتّنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، محمّد الطّاهر ابن عاشور، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٨- التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، المحقّق العلّامة المصطفويّ، مركز نشر آثار العلّامة المصطفويّ، القاهرة، لندن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٩- تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة– دراسة تطبيقيّة لأساليب التّأثير والإقناع الحجاجيّ في الخطاب النّسويّ في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

١٠- التّداوليّات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، www.alukh.net.

١١- تفسير البيضاويّ، (أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل)، ناصر الدّين، عبدالله بن عمر بن

محمّد، البيضاويّ، إعداد وتقديم: محمّد عبدالرّحمن المرعشليّ، دار إحياء التُّراث العربيّ – بيروت، مؤسّسة التّاريخ العربيّ.
١٢- التّفسير الكبير، الفخر الرّازيّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٣- التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآنيّ (دراسة جماليّة وأسلوبيّة)، د. حسين نعمة، منشورات دار النّمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
١٤- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، عبدالله صولة، دار الفارابيّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٥- الخطاب القرآنيّ – دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق، د. خلود العمّوش، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن (د.ت).
١٦- خصائص التّعبير القرآنيّ وسماته البلاغيّة، د. عبدالعظيم إبراهيم محمّد المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط١)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٧- ديوان الأدب، لأبي إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم الفارابيّ (٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، ٢٠٠٣م.
١٨- شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات، لأبي بكر، محمّد بن القاسم، الأنباريّ (٣٢٨هـ)، تحقيق: عبدالسّلام محمّد هارون، ط٦، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٥م.
١٩- شرح نهج البلاغة، عبدالحميد بن هبة الله، المدائنيّ، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٠- الصّحيفة السّجّاديّة، الإمام عليّ بن الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ، تحقيق: السّيّد رحيم الحسينيّ، النّاشر: الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، قسم العلاقات العامّة، ط١، ١٤٣٦هـ.
٢١- الفروق اللّغويّة، لأبي هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل، العسكريّ (٣٩٥هـ)، علّق عليه: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٢- الكامل في التّاريخ، عزّ الدّين، أبو الحسن، عليّ بن أبي عبدالكريم، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: د. عمر عبدالسّلام تدمريّ، مؤسّسة المظفّر الثّقافيّة، العراق، النّاشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٣- لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدّين، محمّد بن مكرَّم، ابن منظور المصريّ (ت٧١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٤- معاني النّحو، د. فاضل صالح السّامرائيّ، شركة العاتك للطباعة والنّشر، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٥- المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، محمّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢م.
٢٦- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدّلالة في العربيّة، د. محمّد محمّد يونس عليّ، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٧- مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ (٤٢٥هـ)، دار القلم، انتشارات ذوي القربى، إيران، قم، ط٣، ١٤٢٤ق- ١٣٨٢هـ.ش.
٢٨- مقاييس اللّغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسّلام محمّد هارون، مطبعة مصطفي البابي الحلبيّ، مصر، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٩- مكاتيب الأئمّة عليهم السلام، عليّ الأحمديّ الميانجيّ، تحقيق: مجتبى فَرجي، مؤسّسة دار الحديث العلميّة الثّقافيّة، إيران، قم، ط٥، ١٣٣١ق- ١٣٨٩ش.
٣٠- مناهج الدّرس النّحويّ في العالم العربيّ في القرن العشرين، د. عطا محمّد موسى، دار الإسراء، عمّان الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.
٣١- الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسّسة المجتبى للمطبوعات، إيران، قم، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٢- نظرات في التُّراث اللّغويّ، د. عبدالقادر المهيريّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٣٣- نعوت الرّسول محمّد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم -دراسة دلاليّة- رسالة ماجستير، مجيد بدر ناصر، مقدّمة إلى كلّيّة التّربية، جامعة البصرة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.